

المحاضرة: 02 « شرح كتاب سيويه » للسيرافي (ت 368 هـ)

تمهيد:

لكتاب سيويه مكانة عظيمة عند العلماء، وأشهر كتاب في النحو. لذلك فقد لقي اهتماما كبيرا، فقد أخذ النحاة الذين جاءوا بعد سيويه ومنذ القرن الثالث يتدارسونه ويشرحونه، فكثرت شروحه وشروحه شواهد والتعليقات عليه. ومن الذين شرحوه: أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت 215 هـ)، وأبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب المازني، وأبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل الأخفش الصغير (ت 315 هـ)، وأبو بكر محمد بن السري بن السراج (ت 316 هـ). وأبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي (ت 347 هـ). وأبو جعفر بن محمد النحاس المصري (ت 338 هـ)، وعثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت 646 هـ)، وابن خروف (ت 680 هـ) أحد نحاة الأندلس وغيرهم¹، إلا أن أعظمها وأوفاه وأشهرها كان شرح السيرافي .

أولا : التعريف بالسيرافي :

1 – مولده و نشأته :

هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان، فارسي الأصل، ولد بسيراف². وفيها بدأ بطلب العلم، ثم انتقل إلى عمان، وهو لم يتجاوز العشرين. تفقه بها لينتقل إلى العسكر (عسكر مكرم)، فأقام بها مدة حيث انتظم في حلقة الصيمري محمد بن عمر (ت 315 هـ)، فكان نابغة الحلقة وكان يقدمه على جميع أصحابه. وبعدها انتقل إلى بغداد مركز العلماء وقبلة المتعلمين، فنهل من روافدها وصنعت منه لغويا عالما بأسرار العربية، فذاع صيته ووضع شرحه للكتاب. كان قاضيا ومدرسا ببغداد . توفي سنة 368 هـ³.

2 – علومه ومعارفه وأخلاقه:

كان السيرافي إماما في العربية علامة في الأدب، شديد الاهتمام بالعلوم التي عرفت في عصره. أخذ الناس عنه مختلف العلوم؛ القرآن الكريم، والقراءات، وعلوم القرآن، والنحو،

¹. ينظر: خديجة الحديشي، كتاب سيويه وشروحه، دار التضامن، بغداد، ط1، 1967، ص 151 وما بعدها .

². بلدة على ساحل البحر جنوب فارس .

³. ينظر: ابن النديم، الفهرست، تح إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت - لبنان، ط2، 1997، ص 87 .

واللغة، والفقه، والفرائض، والحساب، والكلام، والقوافي والحديث، فقد تصدّر للإقراء بهذه العلوم في بغداد¹، وكان زاهدا ورعا متعففا لا يأكل إلا من كسب يده، كان يعتمد على مهنة النسخ، ويدرس دون مقابل، وكان يرفض أجره عن عمله كفاض حتى يكون خالصا لوجه الله تعالى. "هذا مع الثقة والديانة والأمانة والرواية، صام أربعين سنة وأكثر الدهر كله"².

3 - شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته:

من الذين تتلمذ عنهم السيرافي: أبو بكر محمد بن السري، المعروف ب(ابن السراج)، أبو بكر محمد بن علي، المعروف ب(برمان)، أبو بكر بن دريد، أبو بكر بن مجاهد(عالم القراءات)، الصيمري. إبراهيم بن علي إسحاق الفارسي. أحمد بن بكر العبيدي، إسماعيل بن حماد الجوهري(ت313هـ). أبو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيدي الأندلسي. أبو حيان التوحيدي(ت414هـ). الحسين بن محمد بن جعفر(ت388هـ). الحسين بن أحمد بن خالويه اللغوي(ت370هـ). أما أهم مؤلفاته فمنها: شرح شواهد سيبويه، ألفات الوصل والقطع، أخبار النحويين والبصريين، كتاب الوقف والابتداء، كتاب صنعة الشعر والبلاغة، الإقناع في النحو، شرح مقصورة ابن دريد، المدخل إلى كتاب سيبويه³.

4 - أقوال العلماء فيه:

قال عنه التوحيدي: " وحضرت مجلس شيخ الدهر، وقريع العصر، العديم المثل، المفقود الشكل، أبي سعيد السيرافي، وقد أقبل على الحسين بن مردويه الفارسي يشرح له ترجمة «المدخل إلى كتاب سيبويه» من تصنيفه، فقال له: علّق عليه، واصرف همتك إليه، فإنك لا تدركه إلا بتعب الحواس، ولا تتصوّره إلا بالاعتزال عن الناس"⁴. ويقول عنه بأقوت الحموي(ت626هـ): " شيخ الشيوخ وإمام الأئمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة، أفتى في جامع

¹ . ينظر: خديجة الحديثي، كتاب سيبويه وشرحها، ص 159.

² . معجم الأدياء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، 2/ 876 وما بعدها.

³ . ينظر: السيرافي، شرح كتاب سيبويه، نج: أحمد حسن، علي سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008، 1، 7/1.

⁴ . بأقوت الحموي، معجم الأدياء، نج: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، 2، 879.

الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر منه على زلة، وقضى ببغداد¹.

ثانيا: التعريف بـ (شرح كتاب سيويه) :

1- أسباب شهرة الشرح ومكانته:

شرح السيرافي أكثر الشروح شهرةً ، وأعلها مكانةً؛ لقد أجمع العلماء على أنه لم يوضع شرحٌ لكتاب سيويه مثل شرح أبي سعيد السيرافي. يقول ياقوت الحموي: " وشرح «كتاب سيويه» في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليمانى، فما جراه فيه أحد ولا سبقه إلى تمامه إنسان"². وذلك لمكانة كتاب سيويه ومكانة السيرافي النحوية والعلمية ...

2 - المقدمة:

لم يكتب السيرافي مقممة لشرحه يبين فيها غرضه من الشرح وأهدافه وسبب تأليفه. ولعله اكتفى بعنوان الكتاب (شرح كتاب سيويه). وقد ابتدأه بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، قال أبو سعيد: قال سيويه (هذا بابٌ علم ما الكلم من العربية)»³.

3 - مضمونه:

الكتاب كما يتضح من عنوانه هو شرح كتاب سيويه وفتح مغاليقه وتحديد مقاصده، وتوضيح آرائه، وتيسير فهمه، وإثراء له. وقد بسط السيرافي علمه ومعارفه، وكل مجهوده من أجل هذه الغاية. فتميز السيرافي بالإسهاب في الشرح والحرص الشديد على استقصاء المسائل واستكمال القضايا التي لم يتطرق إليها الكتاب بالتفصيل، والحرص على إفادة القارئ وتوضيح أسلوب سيويه والآراء فيه، وتبيين ما فيه من أخطاء لم ترد عنه، ومناقشة المعترضين عليه أو مخطئيه، وذكر الآراء المختلفة والخلافات، وسعة الباع في معرفة اللغة وطول النفس في العرض.

¹. معجم الأدياء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، 2/ 876 وما بعدها.

². معجم الأدياء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، 2/ 876 وما بعدها.

³. السيرافي، شرح كتاب سيويه، 1/ 9.

يمكن إيجاز منهج السيرافي في الشرح في الآتي:
 • فقد كان يعتمد تصحيح النَّصِّ وتحقيقه وتوضيح غامضه واستكمال جوانبه والدِّفاع عن سيبويه .

• لا يكتفي السيرافي برأيه في الشرح بل يستشهد بأراء النحاة الذين جاءوا بعد سيبويه، ويذكر الآراء المختلفة والخلافات ، وقد يصحح الخطأ الذي يرد في الكتاب ... وقد يستدرك على سيبويه في بعض المواضع. وقد ردَّ السيرافي في شرحه في أماكن كثيرة على اعتراضات المبرِّد في أماكنها من قول سيبويه وبين الخطأ فيها، وردَّ على ثعلب وغيره من أصحابه الكوفيين ونبه على خطئهم ووهمهم في تفسيرهم لما ورد في كتاب سيبويه ...¹.

• لم تكن خطته في هذا الشرح ثابتة مطردة في جميع أبوابه وفصوله ، وإنما كان يخالف بها بين الأبواب وينوعها؛ فقد تباينت طريقته². فهو تارة ينقل عبارة من كلام سيبويه ، ويردِّفها بالشرح، وتارة يقدِّم لكلام سيبويه بما يقرِّبه ويوضِّحه. وقد لا يشرح كلام سيبويه نفسه إنما يذكر عبارته بعدها بما عنده في الموضوع مكتملاً لما تكلم عليه سيبويه.. وهكذا.
 • قد يشرح بعض الباب ويترك الباقي ويقول: "وما بقي من الباب مفهوم"³، أو " وتركت من الباب ما كلام سيبويه فيه مفهوم"⁴، أو "باقي الباب مستغنى عن تفسيره"⁵.
 • الدفاع عن آرائه دفاع العالم المتمرس بأساليب الجدل والمناظرات والأدلة والحجج .
 • توقع الاعتراض وافترض الأسئلة: فإن قيل كذا فالجواب كذا، فإن قال قائل: ... قيل له: ...

1 . ينظر: خديجة الحديثي، كتاب سيبويه وشروحه، ص183 وما بعدها . مازن المبارك ، الرمانى النحوي، ص284.
 2 . ينظر: الرمانى النحوي ، ص142 . خديجة الحديثي ، كتاب سيبويه وشروحه ، ص183 .
 3 . السيرافي ، شرح كتاب سيبويه ، 2 / 497 .
 4 . السيرافي ، شرح كتاب سيبويه ، 3 / 13 .
 5 . السيرافي ، شرح كتاب سيبويه ، 3 / 123 .

